نمط الدراسات القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا.

التحديات و سبل النهوض.

بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية.

جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

10 جمادى الأولى 1346هـ الموافق 1 مارس 2015م.

إعداد : د. تيجاني زبير رابع

رئيس قسم علوم القرآن الكريم

شعبة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

كلية أمين كنو لدراسات الشريعة والقانون كنو نيجيريا.

ملخص البحث

المحور الذي كتب الباحث حوله هو الثالث : **البرامج التعليمية ومناهج التعليم (غير الأكاديمية) في المساجد والمحاضر والمراكز والدورات العلمية وغيرها من المؤسسات غير الأكاديمية**

دراسة تاريخها وأنماطها وأثرها في الحركة العلمية, ونظائرها في الأمم والثقافات الأخرى, ورصد مواضع الخلل فيها وسبل النهوض بها .

فيحاول الباحث من خلال هذا المحور أن يبرز "**نمط الدراسات القرانية غير الأكاديمية في دولة نيجيريا**"، مع نظرة خاطفة عن جمهورية نيجيريا ومكوناتها تاريخيا في مجال دراسات القرآن الكريم لأنها بلد يكتز بجمع كبير من حفظة كتاب الله تعالى وقرائه، ويتحدث الباحث كذالك عن أنواع المدارس القرآن الكريم غير الأكاديمية وأثرها في حياة المسلمين مع ذكر بعض المشاكل التي تعانيها، ويحاول الباحث أن يتوصل إلى طرق التجديد والنهوض بالمدارس القرآنية الدهليزية وغيرها لأنها مازلت منتشرة بكثرة في هذه البلاد، وكما يحاول طرح الطرق لحل مسألة التسول التي ربطت بطلبة القرآن الكريم عموما في إفريقيا. وأسأل الله تبارك وتعالى لنا ولكم التوفيق والسداد. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**) الاسراء الآية 9. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. القائل: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه[1]" وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ولهذا حرصت الأمة على دراسته وتدريسه، فوعته في صدورها ،وسجلته في السطور، وتعلمته جيلا إثر جيل.

وقال ﷺ، "**أشرف أمتي حملة القرآن**"[2] فإن الإنسان لا يشرف إلا بما يعرف، ولا يفضل إلا بما يعقل. وبشرف العلم أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السّلام على الملائكة وأمرهم بالسّجود له، ولأهميته نجد أنّ أوّل ما نزل في القرآن الكريم هو قوله تعالى : (**أقرأ باسم ربّك الذي خلق**) الخ سورة القلم الآية 1 – 5 .

ولقد كان التّعليم ولا يزال مصدر عزّ الأمم والمجتمعات، وسرّ سعادتها وتحضُّرها وتقدّمها، فبقدر ما تتعلّم الأممُ وتهتمُّ بتعليم أجيالها الصّاعدة، بقدر ما تحافظ على هويّتها ووجودها وبقائها، وعلى العكس، فما أهملت أمَّة قط تعليم شبابها، وإعدادهم إعدادًا بنَّاءً أصيلاً، إلا أُصِيبَتْ في صميمها، وعاشت ذليلةً مهينةً في مؤخرة الأمم، وعلى هامش الحضارات.

ويُعتبر التعليم الإسلامي من أكثر معطيات الحضارة الإنسانية إيجابياً في حيز المنفعة لشعوب غرب إفريقيا، حيث يفتح لهم الطّريق لاستيعاب أساليب جديدة لحضارتهم التّقليديةً ، وبتعلم القرآن الكريم والكتابة العربية انتقل تاريخ نيجيريا من مرحلة الرّواية الشّفهية إلى مرحلة التّدوين، كما وجدت اللّغات القومية إلى الحرف العربي الأبجدي الحفيظ على تلك اللغات، بل يفيد تاريخ هذه المنطقة أنّه لا يُعرف أيّ تعليم سابقاً سوى التّعليم القرآني العربي الإسلامي.

---

[1] البخاري أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة بيروت سنة 1407 – 1987 الطبعة الثالثة . المحقق د. مصطفى ديب البغا. ج 4 / 1919

[2] رواه الطبراني وفيه سعد بن سعيد الجرجاني وهوضعيف ، (الهيثمي علي بن أبي بكر المتوفى سنة 807 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي القاهرة وبيروت 1407 هـ . ج 7 /161

وثقافة غرب أفريقيا قبل الإسلام هي نظام أرستقراطي بحت، حيث يتوارث الحكّام مناصبهم كابراً عن كابر، وزمام الأمر بيد الملوك، ويعاونهم أمناؤهم من كبار مواليهم المخلصين لهم، ومن رؤساء جنودهم الحارسين لمملكتهم ومن كهنتهم المشيرين لحركاتهم. أمّا القضاة فكبير كلّ عائلة قاضيها، ورئيس كل قبيلة حاكمها، وقاضي القضاة هو الملك الّذي يَعْتبر نفسَه نائباً عن الله في أرضه. ولكلّ كبيرٍ ورئيسٍ حقُّ سماعِ القضايا الصّغرى في ناحيته وولايته الخاصّة، أمّا القضايا الكبرى فإنّها تُرْفَعُ إلى مجلس الملك فيجتمع الأعيان لسماعها، والنّظر فيها، وليس لهم قانون مدوّن في كتابٍ، إنّما يحفظون في صدروهم ما يتوارثونه عن أسلافهم من تقاليد وعاداتٍ.

وقد ظلّ تعليم القرآن والعلوم الإسلامية ينمو ويتطوّر في دهاليز العلماء والكتاتيب والزوايا والمساجد والجوامع حتى جاء المستعمر الّذي حارب الفكر الإسلامي، وكل نشاط علمي يتعلق به، وعمل على نشر الثقافة الأوروبية واللّغة الإنجليزية، فأخذت اللّغة الإنجليزية تحلّ محلّ اللّغة العربية بعد أن مهّد الإنجليز لتعلّمها السّبل والأساليب ورفعوا شأن من عرفها وجعلوها لغة رسمية للبلاد، كالحالة نفسها في الدّول الّتي استعمرتها فرنسا. ويتكون هذا البحث " **نمط الدراسات القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا** " إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة كالتالي : –

التمهيد : تحدث الباحث فيه عن الخلفية التاريخية للقطر النيجيري وتاريخ دخول الإسلام فيه. المبحث الأول: ذكر الباحث فيه تاريخ القرآن الكريم في نيجيريا. المبحث الثاني: أنواع المدارس القرآنية غير الأكاديمية في نيجيريا. المبحث الثالث : التحديات التي تواجه المدارس القرانية وسبل النهوض بها. الخاتمة : وبها أهم النتائج والتوصيات . ثم قائمة المصادر والمراجع. وأسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التمهيد : خلفية تاريخية عن القطر النيجيري ودخول الإسلام فيه.

- **نيجيريا** : فمنذ آلاف السنين استوطن الإنسان المنطقة التي تعرف بنيجيريا الآن، وقد اكتشف علماء الآثار أدوات حجرية يربو عمرها على(40,000) سنة.[1] ووُجدت أيضًا هياكل بشرية وبعض مخلفات المستوطنات البشرية التي تنتمي إلى عصور ماقبل التاريخ.

وهذه المنطقة تعرف عند العرب قديما باسم بلاد السودان أو بلاد التكرور، وإن كان هذا الإسم أي التكرور غير متداول ولا معروف عند أهله. وإنما يسمعه الحجيج من بلاد الحرمين ومصر[2] .

وتقع جمهورية نيجيريا في الساحل الغربي لإفريقيا، على طول المحيط الأطلسي فى خليجِ غينيا. ما بين (4و41) شمالا من درجة (30) من خطوط العرض أسفل خط الإستواء، تحدها شمالا جمهورية (نيجر) وشرقا دولة تشاد والكاميرون، وغربا بلاد (الداهومي) أي جمهورية بنين،وجنوبا المحيط الأطلسي.[3]

وتسع نيجيريا (923،768) كيلومتر ، يَقاسُ عرضها بحوالي ألف ومائتين (1200) كيلومترَ مِنْ الشرقِ إلى الغربِ، وحوالي ألف وخمسين (1050) كيلومترَ من الشمال إلى الجنوب. وبلغ عدد السكان مائة وستون مليون(160) نسمة. خمس وستون بالمائة(65%) منهم مسلمون[4]. لذالك تعد نيجيريا أكبر بلد إسلامي من الناحية العددية في إفريقيا.[5]

دخل الإسلام فى إفريقيا منذ القرن الأول الهجري لما وطئت أقدام مهاجري الحبشة ﷺ[6] وتم فتح شمالها على يد عقبة ين نافع الفهري سنة ست وأربعين للهجرة ، وذلك لما فتحت مصر أيام عمر بن الخطاب ﷺ على يد عمر بن العاص واستقر فيها ، ولّى على إفريقيا عقبة بن نافع، وتوسع عقبة نحو المغرب وبنى القيروان

---

[1] انظر: الموسوعة العربية العالمية : عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية. (نيجيريا)

[2] انظر: محمد بللو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور طبع عام 1382هـ – 1964م ص 28

[3] انظر : توفيق أبوبكر حسين : جمهورية النيجيرية ، بحث غير منشور. ص1

[4] محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1996م . ج 163/15.

[5] انظر : توفيق حسين : جمهورية نيجيريا. ص 44

[6] انظر : المباركفوري صفي الرحمن : الرحيق المختوم : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية الطبعة العشرون 1430هـ 2009م ص 74 .

لتكون قاعدة للجند ، وواصل فتوحاته إلى فزان وغدامس وكوار والأخيرة مدينة معروفة ببلاد غوبر من أقاليم النيجر ، ولا تبعد كثيرا عن حدود نيجيريا الحالية .[1]

استمرت الفتوحات بعد هذا والحركات الاسلامية ، حتى انتشر الإسلام ، ليس في إقليم هوسا فحسب بل في كافة ربوع إفريقيا ، وذلك بالجهود التي بذلتها الدول الإسلامية التي قامت في المنطقة مثل مملكة غانة ومملكة مالي ومملكة كانم برنو، ومملكة سنغاي، ومملكة سكوتو وبجهود التجار المتجولون عبر طرق القوافل التي تخترق الصحراء الكبرى جنوبا حيث ينتهي الطريق إلى برنو، وآخر ينتهي في كنو [2].

وتعد إفريقيا القارة المسلمة الأولى إذ بلغ عدد المسلمين فيها حوالي(52%)من جملة السكان.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام في إفريقيا ما يأتي :-

1- عدالة الإسلام ومساواته بين الناس ، وبغضه للتفرقة العنصرية.

2- بساطة تعاليم الإسلام ، وسهولة فهمه ويسر الدعوة إليه.

3- نشر الدعوة الإسلامية لايسخر لمصالح فئة معينة، أو يحقق مكاسب لكتل سياسية متصارعة، وليست للدعوة الإسلامية أهداف غير انتشار الإسلام وهذا يخالف تماماً ما تقوم به بعثات التنصير من حماية للمصالح الإستعمارية وخدمة للمستثمرين، وتجارة الرقيق مع ممارسة جميع أنواع القسوة في نقل الملايين من الإفريقيين إلى العالم الجديد طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر.

4- يقدم الإسلام للمسلمين قوة الشعور بالوحدة، ويؤلف بين قلوب أبنائه، .[3]

تعمق الإسلام فى شمال نيجيريا بصفة كبيرة حتى يصعب التمييز بين الرجل الشمالي (هوسا/فلاني) والإسلام، لأنه يعتبر أن كل شمالي هوساوي مسلم، وبمعنى أن قبائل الشمال كلها مسلمة سوى نذر يسير تأثر بالإرساليات التنصيرية وما تقدمه، وبالإستعمار الصليبي ومغرياته. وأكثر من نصف اليوروباويين في الجنوب الغربي مسلمون، وأما قبيلة الإيبو التي تقطن الجنوب الشرقي، ففي أواخر القرن التاسع الهجري أصبحت المسيحية قوية فيها، وطغت على كل الديانات الإفريقية الوثنية الموروثة.

---

[1] انظر : شيخ عثمان كبر، الدكتور: الشعر الصوفي في نيجيريا ، دراسة موضوعية تحليلية لنماذج مختارة من انتاج العلماء القادريين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. النهار للطبع والنشر والتوزيع.ص 20 وإن فزان وغدامس تقعان الان في ليبيا.

[2] انظر : على أبوبكر ، الدكتور : الثقافة العربية في نيجيريا ، الطبعة الأولى 1972 م ص 15

[3] انظر : محمد موسى البر / جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية، الإسلام والمسلمون في إفريقيا. بحث غير مطبوع. ص 2

المبحث الاول : تاريخ القران الكريم في نيجيريا.

اشتهرت هذه البلاد بالكتاتيب القرآنية والدعوة إلى دين الله منذ دخول الإسلام في وهلة الأولى، فلذا كان انتشار الإسلام مع انتشار دراسات القرآن الكريم. لأن تعليم القرآن هو المدخل الأول إلى الإسلام، وكان جمع من التابعين أتوا إلى إفريقيا منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري للقيام بالمهمة التعليمية، منهم أبو عبد الرحمن موسى ابن علي بالتصغير ابن رباح اللخمي ت 64هـ [1]، سكن القيروان وبنى بها دارًا ومسجدًا وانتفع به أهلها. وأبو رشيد حنش بن عبد الله الصنعاني وهو الذي أسس جامع سرقسطة وكان مع علي ﷺ بالكوفة قبل ذلك، سكن القيروان ومات بها،[2] كما سكن القيروان أيضًا أبو سعيد كيسان المقبري مات في حدود العشرين بعد المائة [3]، وعكرمة مولا ابن عباس الذي أسس مدرسة للتفسير بجامع قيروان في نهاية القرن الأول وفجر القرن الثاني، وقد دخل عكرمة القيروان لا للغزو وإنما لنشر العلم بها، – وهو من أبرز تلاميذ ابن عباس في التفسير وأعلمهم به، ونقل أن ابن عباس كان يضع في رجل عكرمة قيدًا ولا يفكه منه حتى يتم أخذ التفسير. وقد كان الطلبة من كل فج يتلقون عن هؤلاء التابعين : القرآن الكريم والتفسير، وكل مايتعلق بآيات الأحكام .[4]

يقول الأستاذ مُحَمَّد العروسي المطوي " إن العرب لما فتحوا إفريقيا أواسط القرن الأول للهجرة كان الكثير منهم في عيالهم وذراريهم ، فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا قيروانهم أول ما أنشأوا الدور والمساجد ثم التفتوا إلى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلا وكتابا يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز، لما كان لأولئك الأفاضل من العناية الكبرى بأمر دينهم القوي، وهم القائمون بنشر دعوته المكلفون بركز دعائمه سواء بين الأقارب أو الأباعد من أبناء الشعوب المغلوبة على أمرها، أو المؤلفة قلوبهم، واستشهد بقول غياث بن أبي شبيب، قال: كان

---

[1] ابن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب : طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى 1406هـ. رقم 6994 553/2

[2] انظر : الأزدي : الحافظ أبي الوليد عبد الله بن مُحَمَّد بن يونس: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، تحقيق عزت العطار الحسيني الناشر مطبعة المدني سنة النشر 1408هـ/ 1988م 151/1

[3] انظر: المزي : يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ، 1400 – 1980 تحقيق : د. بشار عواد معروف رقم 2284 466/10

[4] انظر : طرهوني : مُحَمَّد رزق عبد الناصر: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا ، بحث مقدم لنيل شهادة العالمية (الدكتوراه) جامعة الأزهر كلية أصول الدين 1420 هـ – 1999 م ص 570

سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يمر علينا ونحن غلمة بالقيروانة فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه.[1]

وأما في نيجيريا فولاية برنوا فيما عثر أنها من أوائل البلدة التي دخلها الإسلام، فلذا كان القرآن منتشرا فيها قبل غيرها، ومازال الأمر إلى وقتنا الراهن أنها قبلة دراسة القرآن الكريم وحفظه لأهل شمال نيجيريا، ومما يتناقله الناس بالرواية الشفهية أن نسخة المصحف بقيت في برنو لمائة عام قبل أن تنسخ الى بلد آخر في نيجيريا، فكان الناس يحجون إلى برنو لرؤية المصحف ويتبركون به،

ونقل أن الداعية أو المعلم "مُحَمَّد بن ماني" أول من أدخل الإسلام في برنو، وقد عاش مائة وعشرين 120 سنة، وعاصر خمسة من "مايات" أي الملوك في برنو، أولهم "الماي برنو" الذي حكم حوالي 1020م، وآخرهم الملك "أوم" بن عبد الجليل الذي حكم 1086 – 1097 م ، وكتب رسالة لأبنائه من بعده بين فيها تاريخ دخول الإسلام إلى برنو ، وأن المعلم الفقيه مُحَمَّد بن ماني قرأ مع الماي برنو الجزئين الآخرين من القرآن الكريم،[2] من أول سورة الملك إلى من الجنة والناس، وأن الملك "الماي برنو" قدم له مكافأة على ذلك. وكان اهتمام البرناويين بالقرآن ودراسته من الطبقة الحاكمة إلى الطبقة الشعب كبيرة، وحتى الشواع والطرقات كانت تسمى بأسماء المهرة بالقرآن، مثل كلمة "غوني" فلان. وأمراء برنو إلى يومنا هذا كانوا من حفظة القرآن الكريم. وقد زرنا (شيخ برنو) اي الأمير عام 2000م تقريبا في قصره بعد المغرب ، فوجدناه يستمع لتلاوة القرآن الكريم من ماهرين للقران الكريم ، فقيل لنا ان هذا دأبه يجلس كل يوم بعد المغرب لاستماع سبع من القران الكريم.

أما بلاد الهوسا فإن مدينة (كاشنة) أسبق إلى ميدان الحضارة والعمران وهي التي تقع على طريق القوافل المارة من (تمبكتو) إلى (برنو) ومصر، وقد قام بهذه المدينة سوق عظيم يحضره البرابرة والعرب والوناغرة في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي.[3]

---

[1] انظر : سكيرج سليمان أرزي كنو : الكتاتيب في كنو بين الماضي والحاضر، بحث لنيل الشهادة الجامعية العالية "الليسانس" قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالنيجر، 1996م . قسم المخطوطات بمكتبة كلية أمين كنو للشريعة والقانون كنو نيجيريا. ص 12 عن مُحَمَّد العروسي المطوي ، تحقيق آداب المعلمين ص 33

[2] والملاحظ في كل مكان أن أي دين جديد لا بد أن يكون مع الشعب قبل أن يصل إلى الطبقة الحاكمة.

[3] الإلوري : الإسلام في نيجيريا ص 31

وأما مدينة (كنو) حاليا فهي قلب الثقافة الإسلامية بشمال نيجيريا، بل وغرب إفريقيا عموما والمركز الإقتصادي لنيجيريا،[1]

وقال أمير المؤمنين مُحَمَّد بللو رحمه الله عن ولايات هوسا، "وأوسطها كَشِنَةْ، وأوسعها زَكْزَكِ، وأجذبها غُوبِرْ، وأبركها كَنُو..."[2] ولها من السكان ما يزيد على ثلاثة عشرة مليون 13 نسمة، وتسع وتسعون بالمائة (99%) منهم مسلمون، وكانت سوقها (كاسور كرمي) Kasuwar kurmi من أكبر الأسواق في غرب إفريقيا قديما، ويغشاه التجار من شتى النواحي. ويطلق على ولاية كنو حديثا عاصمة شمال نيجيريا، رغم أن العاصمة في أثناء الحكم الذاتي للأقاليم هي كدونا، إلا أنها تطلق عليها لما تتمتع به من تمثيل المسلمين في جميع أنحاء نيجيريا، لا يذكر الإسلام والمسلمين في نيجيريا إلا وذكر كنو.

وأما بلاد يوروبا التي تقع جنوب نهر النيجر فتاريخ الإسلام والقرآن فيها شحي، وقد ألف الشيخ مُحَمَّد بن مسنى الكشناوي ت 1078هـ كتابا سماه " أزهار الربا في أخبار بلاد يوروبا " ولكنه مفقود.[3] وقد ذكر البكري وجود الحي الإسلامي والحي الوثني جنبا إلى جنب تحت رعاية سلطان غانا الكافر، ووجود المساجد في الحي الوثني حتى في القصر الملكي بالذات. [4]

وانتشر مع الإسلام الدراسات القرآنية والثقافة الإسلامية والعربية في جميع ربوع منطقة نيجيريا، ووجد الكثير من العلماء فيها، سواء تخصصوا في مواد مختلفة كالتفسير والحديث والفقه واللغة ، أو تخصص في مادة واحد أو كتاب واحد ، حتى غدا التعاليم القرآني أكثر انتشارا في جميع أرجاء الممالك الإسلامية، وصارت العربية اللغة الرسمية لهم ، يصدرون بها مؤلفاتهم ورسائلهم.

وممن دخلوا شمال نيجيريا من العلماء حاملين معهم الثقافات الإسلامية واللغة العربية الأمر الذي حيأ جو التعليم بدءا بالقرآن الكريم والعلوم الأخرى، منهم على سبيل المثال لا الحصر : – الإمام الفقيه المفسر المقرئ محيي الدين مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي،ت (909 هـ) حضر إلى مدينة كنو ومكث فيها برهة من الزمن وتولى القضاء والإفتاء وأخذ عنه علماؤها، وكتب لسلطان كنو مُحَمَّد (رمفا) كيفية ترتيب رجال

---

[1] عمر حمزة إبراهيم / نيجيريا / ولاية كنو الإسلامية :جامعة أمدرمان الإسلامية ، بحث غير مطبوع. ص1

[2] مُحَمَّد بلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، ص 41

[3] انظر : الالوري : آدم عبد الله : الاسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاتي : الطبعة الثالثة 1978م ص 33

[4] انظر : المرجع السابق ص 34

الأمير في مجلسه، من هيئة شورية على شكل لجنة الفتوى من كبار العلماء والفقهاء على ما سن الخليفتان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، كما رتب له وزير الدولة وقائد الجنود والإمام الأكبر للصلاة وقاضي القضاة وكبار العلماء وكبار الجنود وعمال الولايات ، ووضع له وصية فيما يجب على الحكام في ردع الناس عن الحرام. وساعد الشيخ الملك في تأسيس دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة ، وكان الشيخ ذاته يجلس ويشترك في تنفيذ أمور الدولة، وقد شبه الكثير من المؤرخين الإمام المغيلي بشيخ الإسلام ابن تيمية في نشر الإسلام والدفاع عنه ومحاربة البدع والمنكرات،[1] وخلفه ابنه بعد مغادرته، ولا يزال أفراد ذريته يجلسون في مجلس أمير كنو إلى يومنا هذا[2]. والشيخ عبد الرحمن الزيتي الونكري، تزعّم وفد من العلماء قادما من أراضي مالي ومكث في كنو، ويعتبر من الأوائل الذين نشروا العلم في كنو واللبنة الأولى لتأسيس مركز علمي في هذه المدينة .[3] والعالم الكبير أحمد بن مُحَمَّد التمبكتي الصنهاجي ت 1038هـ[4] وغيرهم من العلماء الثقات الذين زارو مدينة كنو وغيرها من مدن شمال نيجيريا. كما كاتب الإمام المفسر جلال الدين السيوطي برسالة إلى ملوك التكرور ينصحهم فيها في أمور السلطنة وأحكامها الشرعية. فمنذ ذلك العهد أصبح الإسلام هو دين الدولة الرسمي.

ومن العلماء الذين تخصصوا في الدراسات القرآنية في هذه البلاد : غوني مُحَمَّد مصطفى دبثيا ت 1297هـ. فريد وقته في علوم القرآن، وكان من بيت كبير فأصابهم الطاعون وتوفي جميع أهل البيت وبقي منفردا، وكان أول طلبه للعلم أنه لقي عالم عربي يتنتقل من بلدة إلى أخرى، فمر ببلدة مصطفى دبثي فرآى حسن أدبه فأخذه للخدمة، فتعلم من هذا العالم العلوم الكثيرة، وبعده ذهب إلى معلم مفلح بن موسى وواصل علمه هناك[5] ومن قصائده

---

[1] انظر : تيجاني زبير رابع : الدكتور : مساهمة علماء نيجيريا في التفسير .. بحث مقدم لنيل شهادة العلمية (الدكتوراه) جامعة أم درمان الإسلامية بجمهورية السودان عام 2012م

[2] انظر : غلادنثي : شيخ أحمد سعيد البروفيسور : حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 الى سنة 1966م المكتبة الأفريقية الطبعة الثانية 1993م ص 42

[3] انظر : الالوري : الاسلام في نيجيريا ص 57

[4] المرجع السابق ص 58

[5] انظر : غوني الأمين بن غوني ممدوا إنشاروا نيجر : الفية الدبثوية المصطفوية المسماة : القرى لأهل البادية والقرى بتاريخ الحبر البحر المتبحر الشيخ العلامة الماهر غوني دبثيا، نظم في ألف بيت مخطوط أهداني إياه الناظم في سفري معه إلى الحج عام 2007م ص 7)

ومن جاء بعلم إلى ربه غدا فيسألـــــه رب عن اسناده تلا

ومن قرأ القرآن من غـير مسند قـراءته كالبيت لا سقف من علا

إذا كنت سـائلا لـنا سندا فقل أخذت عن مفلح وعن موسى شاملا

وغروي وعن دجوي وحسن فسله نل وحـمـدون عن يحيى ودان مرتلا

ويعقوب عن ورش وعن نافع بدت وعـن ابـن قعقاع جلا أخذه حلا

وعن ابن عباس وعن ابن كـعب قل كـذا عـن رسول الله جبريل أنزلا

كرام بره قل لـدى المـقـربين قل وعـن رفرف عن لوح عن قلم جلا

وعن خالق كل تبـارك ذو العلى سألـت لـديك جنة الخلد مدخلا[1].

وقد شهد القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي حركة إصلاحية دينية وثقافية واجتماعية وسياسية كبرى، شملت منطقة واسعة من غرب إفريقيا جنوب الصحراء، وتُوّجت في النهاية بإقامة دولة إسلامية على يد مؤسسها وزعيمها الروحي الشيخ الداعية المجدد عثمان بن مُحَمَّد فودي الفلاتي ت(1233هـ 1818م) . رحمه الله . ولم يمضوا علماء هذه الدولة حتى دوّنوا أكثر ما لديهم من علم، وما وصل إلينا من تأليف للشيخ عثمان بن فودي، وأخيه الشيخ عبدالله، وابنه مُحَمَّد بللو، وابنته الشاعرة أسماء أكثر من أربعمائة مؤلف، في أكثر فنون علوم الإسلام ، من القراءات وعلوم القرآن والتفسير وغيرها، وأغلبها باللغة العربية، وبعضها بلغة الفلاتي، وبعضها بلغة الهوسا، ولقد قام الفوديون بتأسيس عدة مراكز علمية زيادة على التي كانت موجودة من قبل، واستمر الحال على هذا المنوال حتى انتشر العلم بين العوام، بعد أن كان محصورا في بعض البيوت بين الشيوخ وأتباعهم.[2] ولقد بلغ عدد المدارس الإسلامية وكتاتيب تحفيظ القرآن آنذاك أكثر من (25.000) في شمال نيجيريا فقط، وأن عدد الطلاب الذين يدرسون فيها يبلغ حوالي (250.000) ولا فرق بين البنين والبنات في التعليم عندهم، وسقطت الدولة الإسلامية علي أيدي البريطانيين بعد أن استشهد الخليفة السلطان الطاهر مع ست مائة شخص من رفقائه في معركة (بورمي) الثانية يوم

[1] عثرت على هذا النظم في مكتبة والدي غوني زبير رابع رحمه الله بخط تلميذه الشيخ إبراهيم أبوبكر رمضان رحمه الله.

[2] انظر : مُحَمَّد أمين : تاريخ وخصوصيات نيجيريا بحث غير منشور ص2

1903/7/28م في طريقه إلى السودان[1]. ويقول الوزير غطاط بن ليما في كتابه " بسط الفوائد" أن من طبقة العلماء من طبقة الشيخ أي المجدد عثمان ابن فودي آنذاك كان حوالي 105 عالما وأن من الطبقة التي تليهم كان هناك (175) عالما ومن طبقته هو أي الوزير (145) عالما، هذا خلاف ما لم يذكره من الشيوخ والطلبة والصلحاء.[2] وغير هؤلاء، ويضيق المكان لسرد القوم ومناقبهم ومدارسهم وأعمالهم.

وفي هذا العصر أذكر على سبيل المثال: الشيخ مُحَمَّد الرابع بن يونس الساياوي الكنوي ت1377هـ 1959م وقد ألف الشيخ ما يقرب من ثلاثين كتاب في علوم القرآن والقراآت والتجويد ومن أهمها كتاب جامع المنافع على قراءة الإمام نافع ، منظومة في ألف وستمائة وخمس وخمسين 1655 بيتا، وتراثه في علم القراءات من أعظم ما وجد في هذه البلاد أي بلاد هوسا، في العصر الحديث ، وحسب الواقع في تاريخ المقرئين في جمهورية نيجيريا في عصر الحديث أنه لم يوجد من خدم القرآن مثله دراسة وتدريسا،[3] ومن أبرز أبنائه الشيخ الماهر غنغرن الخليفة إسحاق مُحَمَّد الرابع خادم القرآن عضو رابطة العالم الاسلامي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد ومن أعمال الشيخ إسحاق رابع أنه بنى ستين بيتا وقفا بعدد أحزاب القرآن وقصد أن يسمي كل بيت باسم حزب من أحزاب القرآن، وتسكن كل بيت عائلة قرآنية بمدينة كنو بحارة غورن دوظي، وقد بنى أيضا أول جامعة للقرآن الكريم في نيجيريا بنفقته الخاصة، وهى على وشك الافتتاح، وهو من كبار رجال الأعمال في نيجيريا. ومن بين أبناء الشيخ إسحاق رابع من تبرأ ببناء أول مركز للبحوث والدراسات القرآنية بجامعة بايرو، الذي بلغت كلفته مائتي مليون نيرا، أي قرابة خمسة ملايين ريال سعودي. والشيخ : غوني آدم طن كللوري بولاية برنو والشيخ : طاهر عثمان بوثي بولاية بوثي و(بوزن قومي فتسكم) بولا ية يوبي والمرحوم الشيخ: إبراهيم أبوبكر رمضان وغوني طن زرغا والشيخ : الماهر طن ألماجربى والماهر هارون الرشيد فغي والشبخ آدم عبد الله الورن، والشيخ شريف إبراهيم صالح بولاية برنو والشيخ بلاربي غسوا بولاية زمفرا وكل هؤلاء وأمثالهم كثيرون يضيق المكان لسردهم وذكر أنشطتهم القرآنية ومناهجهم التدريسية في غرب إفريقيا وفي نيجيريا على وجه الخصوص.

---

[1] الفلاتي : الأستاذ الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد ، الفلاته في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان دار الكتب الحديث الكويت الطبعة الأولى سنة 1415هـ 1994م . ص 50

[2] انظر: الودغيري: عبد العلي: الدكتور: ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي، بحث غير مطبوع . ص 4

[3] مُحَمَّد ناصر آدم : الأهداف الأساسية لمؤسسة المرحوم الشيخ مُحَمَّد الرابع للتعاون الإسلامي العالمي، ص 25

المبحث الثاني : أنواع المدارس القرآنية غير الأكاديمية

أولا : الكتاتيب (مدرسة اللوح – مكرنتر أللو أو مكرنتر مُحَّدية)

الكتاتيب (كتب) الكِتابُ معروف، والمَكْتَبُ والكُتَّابُ موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ والجمع الكَتَاتِيبُ[1]

والكُتَّاب عبارة عن مكتب تعليمي، وفيها يتعلم أطفال المسلمين القراءة والكتابة وأحكام تلاوة القرآن الكريم. ويعد الكُتَّاب خطوة نحو تطوير المنشآت التعليمية بعد أن ضاقت المساجد عن استيعاب أعداد المتعلمين صغارًا وكبارًا، الفقراء والمساكين، في المدن والقرى على حد سواء، فانتشرت في كل بلاد المسلمين. فهي أول ما يستقبل الصبي المسلم، وهي أول ما تنقش على صفحات صدره البيضاء النقية آيات الذكر الحكيم التي تظل راسخة في ذاكرته مدى الحياة.

وكان بناؤها يعد عملاً يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، وهي مدرسة القرآن ومعلمة الأجيال، كانت ولا تزال من أخطر وأهم المؤسسات التعليمية التي عنيت بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم عبر أجيال متوالية، حافظت على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي، وكانت بمثابة الدروع التي حافظت على تراث الأمة الإسلامية في مواجهة مدارس الإرساليات التبشيرية التي تغزو العالم الإسلامي.

والمشهور أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أول من جمع الأولاد في المكتب ، وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل رزقه في بيت المال[2]

وقال الشيخ آدم عبد الله الإلوري إن اسم المكتب كان معروفا للعرب قبل الإسلام ، وكان يطلق على المكان الذي يتعلم فيه التلميذ الكتابة والقراءة ثم تطورت إلى استعمال اسم الكتاب بصيغة الجمع نظرا لكثرة من يكتب هناك من المعلمين والمتعلمين، وكان في الأول يطلق عليه "مجلس الكتاب" ثم حذف المضاف وبقي المضاف إليه، "الكتاب" وكان ظهوره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ.[3]

ويرى آخرون أن ظهورها كان في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأنه كان في أول الأمر يعلم أولاد الملوك والأمراء وهو معلم الصبيان، ومن خلال ما سردته لك أيها القارئ الكريم يتبين أنها ظهرت في عهد مبكر

---

[1] ابن منظور : مُحَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ، (كتب)

[2] انظر سكيرج : الكتاتيب في كانو ص 7

[3] انظر : المرجع السابق ص 14

واستمرت تتنوع حسب المكان المقامة فيها بين الحواضر والريف والبوادي، وقد تكون خياما متنقلة من مناطق الرعاة والبدو الرحل كما قال شاعر موريتاني:-

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا العصر قدرا دون أندادا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الـــــلـــــه تبيانا[1]

ومن أبرز من لمعت أسماؤهم في هذه الكتاتيب من المعلمين الضحاك بن مزاحم (ت 105هـ، 723م)، والكميت بن زيد (ت 126هـ، 743م)، وعبد الحميد الكاتب (ت 132هـ، 749م).

ومن أشهر الكتاتيب في الماضي، الكتاب الذي أسسه أبو القاسم البلخي (القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي)، وقد بلغ عدد تلاميذه في وقت من الأوقات ثلاثة آلف 3,000 تلميذا.[2] وتدل الرويات على أن هذا الكتاب بجانب استقلاله عن المسجد كان فسيحا جدا ليسع لهذا العدد الكبير، ولهذا كان يحتاج البلخي أن يركب حمارا ليتردد بين هؤلاء الطلبة وليشرف على جميع تلاميذه.

أدت الكتاتيب دورًا فاعلاً في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية والمواد الشرعية والدينية، كما أسهمت في نشر العلم وتعليم القراءة والكتابة، خاصة بعد اختلاط العرب بغيرهم،

والغالب عندنا أن تكون الكتاتيب في دهليز المعلم أو في المسجد، أو دهاليز الجوار وقد تكون تحت أحد الأشجار، ويتمّ التّعليم فيها بصورة تقليدية والمعلّم هو كلّ شيء في هذه الكتاتيب، ولا يفتقر إلى إعداد وتأهيل فيكفي حفظه للقرآن الكريم وإتقانه أو حفظ أجزاء منه والقدرة على القراءة والكتابة . ويلتحق بها المتعلّمون في سنٍّ مبكّرٍ جدّاً، ومنهم من يواصل التّعليم فيها حتّى يُتمّ حفظ القرآن، ومنهم من يتوقّف ويكمل تعليمه في المدارس النّظامية.

ثانيا : المحضرة : (ظنغيا) Tsangayaمرحلة متقدمة عن الكتاتيب ومتداخلة معها من حيث التلمذة والمنهج وغالبا ما تكون خارج المدن لينتقل إليها الطلبة المتخصصون في حفظ القرآن الكريم وفد يذهب إليها

---

[1] انظر : مُحَمَّد بن سيدي مُحَمَّد مولاي الدكتور : التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط، دار يوسف بن تاشفين مكتبة إمام مالك، الطبعة الاولى 1429-2008م 23/1

[2] انظر : الموسوعة العربية العالمية (الكتاب)

الصغير فبل مرحلة الحفظ، وهي مؤسسة من مؤسسات التربية الإسلامية الأصيلة ، تحمل بعض خصائص النظام التربيوي الإسلامي. فهي جامعة شعبية بدوية منتقلة تلقينية فردية طوعية الممارسة.[1]

نشأتها : وأصلها كان من قصور الرباط : وهي الحصون التي تنشأ قريبًا من السواحل غالبًا، وتتخذ لمراقبة العدو القادم من البحر، وقد بدأ إنشاؤها من منتصف القرن الثاني للهجرة على يد بعض ولاة الدولة العباسية بإفريقيا، منهم هرثمة بن أعين الذي بنى قصر رباط المنستير سنة 180هـ ، ثم تكاثرت وشاعت على يد أمراء الدولة الأغلبية، بحيث إن الإشارات الضوئية التي كانت تستعمل للإنذار بالخطر بين هذه المراكز، كانت تصل من سبتة بالمغرب إلى الإسكندرية في ليلة واحدة .

وكانت هذه الرباط من جملة مواضع التعليم بإفريقية ويسكنها مقيمون رسميون من العلماء والعباد، كما يتناوب الحراسة بها أهل القيروان وغيرهم، وكان العلماء كثيرًا ما يقصدونها وخاصة في شهر رمضان حيث يعتكفون ويعلّمون الناس. وقيل إن الرباط كان له نفس دور المسجد في نشر الإسلام. وقد كانوا يسمون قصر زياد دار مالك لكثرة ما فيه من العلماء، وما يعقد فيه من المجالس العلمية، وقد اجتمع فيه أربعة عشر رجلاً من أصحاب سحنون، كما اجتمع في قصر ابن الجعد قبل تمامه ثمانية وأربعون حافظا للقرآن .

وعندما آلت قيادة الحلف الصنهاجي إلى يحيى بن إبراهيم لكدالي سنة 400 هـ أراد أن يوطر حركة الصنهاجية بفتح البلاد أمام التعليم الديني لما لاحظه من جهل الصنهاجية واشتغالها بالتجارة وضعف دافع الروحي لديها وارتباط سياستها بعوامل مادية بحتة، خرج في رحلة إلى الحج وفي عودته مرّ بالقيروان وشكى إلى أبي عمران الفاسي – أحد أبرز الفقهاء – حال قومه وقال " فينا أقوام يحرصون على تعلم القرآن، ويرغبون في الفقه والدين، لو وجدوا إلى ذلك سبيلا، فوجهه إلى وكاك ابن زلو اللمطي الصنهاجي الذي كان يقيم رباطا في سوس للجهاد وللتعليم، وعندما جاء الأمير أي يحيى بن إبراهيم لكدالي إلى وكاك استقبله باحترام وبعث معه عبد الله بن ياسين الجزولي الصنهاجي ليكون معه في هذه المهمة، وعندما رجع الأمير إلى بلاده بصحبة المعلم أقام المعلم وهو عبد الله بن ياسين رباطا للتعليم وللجهاد سنة 426 هـ وكان هذا الرباط

[1] انظر : النحوي: الخليل : بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس 1987م ص 53

بمثابة أول محضرة عرف بالمفهوم الحالي،[1] ولقد قامت المحاضر بدور كبير في الحفاظ على الشخصية الإسلامية في هذه الناحية من العالم الإسلامي.

ومن سمات المحضرة :

1 – أنها جامعة تقدم للطلبة موسوعات من المعارف في مختلف الفنون بدءا بالقرآن الكريم والتجويد والقراءات والتفسير وعلوم القرآن والحديث وفنونه والعقيدة والفقه والسيرة والتاريخ والأخلاق واللغة العربية وغير ذلك.

2 – أنها بدوية، وإن وجدت في المدن فظهورها في البوادي أبين، وهي فريدة من نوعها ولا يكاد يتصورها من لم يرها،

3 – أنها تلقينية ، والعلم يتلقى من أفواه الرجال لا في بطون الكتب فقط ، قال شاعر

فشافهن مجود القرآن لكي تزيل اللحن عن لسان

أخذ عن صاحبه جبريلا سيدنا محمد تنزيلا

لوصح مقرأ بلا تعلم لما تعلم إمام الأمم [2]

4 – أنها فردية في طرفي العملية التربوية الأستاذ والطالب ، من الطرف الأول يدير حلقات الدراسة ومجالسها في العادة شخص واحد وهو الأستاذ، وإليه تنسب المحضرة عادة، ومن الطرف الثاني تؤدي المحضرة رسالتها وفق نظام التعليم الفردي، فالقاعدة هي أن يكون لكل طالب درس خاص به يختاره لنفسه حسب ظروفه الخاصة[3]

5 – أنها طوعية، تقوم على أساس من التطوع والمبادرة الحرة ونشأ من ذلك علاقة حميمية بين الطالب والأستاذ وينظرون إليه بعين المحبة والتقدير والاجلال منقطع النذير.

6 – أنها شعبية، تستقبل كل من يرد إليها من جميع مستويات، الطفل والشيخ والفقير والموسر وتبذل لكل طالب مايريده من ضروب المعرفة حسب مستواه.

---

[1] محمد بن سيدي محمد مولاي : التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط ص 44

[2] السالماوي: محمد الرابع ابن يونس الكنوي: جامع المنافع على قراءة الامام نافع ، تحقيق وتعليق تجاني زبير رابع ، الناشر الخليفة الشيخ إسحاق محمد الرابع 2010م. ص 78

[3] محمد بن سيدي محمد مولاي : التفسير والمفسرون ببلا شنقيط ص 37

ومن أهداف المحاضر :–

1 – تحفيظ القرآن الكريم وإتقانه وجعله دستورا للحياة.

2 – تعليم الدين الإسلامي عقيدة وشريعة ومنهاجا وسلوكا مع اختلاف مشاربها الفكرية في المفهوم الصحيح للدين الإسلامي .

3 – تكوين دعاة قادرين على تحمل مسؤولية الدعوة إلى دين الله تعالى

4 – ترسيخ القيم الإسلامية وإرساء أسس الدين وتعهده بالرعاية.

5 – المحافظة على التراث الإسلامي الموجود [1]

ويقول الدكتور أحمد العمران: إذا كان قد قيل على لسان الأستاذ مُحَمَّد إقبال رحمه الله:" إن التعليم –الغربي– هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكون كما شاء، وأن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيماوية ، فإن الكتاتيب القرآنية هي خط الدفاع الأول عن هذا الكائن الحي، والمحافظ الأول على فطرته". إنها الحقيقة التاريخية التي لا تُنكر، حقيقة دور الكتاب القرآني في الأمة الإسلامية، في كل مدنها وقراها [2]

- **منهج التدريس:**

المنهج المتبع في المدارس القرآنية في نيجيريا قريب من المنهج المتبع في المغرب العربي الذي ذكره ابن خلدون بقوله " فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الإقتصار على تعليم القرآن فقط، و أخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة. و هذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة. و كذا في الكبير إذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة

[1] النحوي : بلاد شنقيط ص 43

[2] انظر : أحمد العمراني، الدكتور :الكتاتيب القرآنية بالمغرب بين الموجود والمقصود "سبل تطويرها مع الحفاظ على خصوصياتها" بحث غير منشور ص 7

من عمره. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم.[1] والذين نزحوا من تلكم البلاد هم الذين نقلوا هذه الطريقة إلى غرب إفريقيا ومن ثم إلى نيجيريا.

وقد تطابق ثقافة المغرب العربي كثيرا بثقافة نيجيريا، بل كلّ من تقصّى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا الغربية، لا يمكنه بأي حال أن يتجاهل الدور الحاسم للمغرب بهذا الشأن. فقد كانت المصنفات المغربية في جل العلوم السائدة رائجة ومعتمدة في مناهج التدريس وحلقات القرآن الكريم والعلوم بالمنطقة، فرواية ورش عن نافع هي الرواية السائدة، والمذهب المالكي كذلك، وكان أسماء العلماء والفقهاء المغاربة تتردد في مؤلفات السودان بطريقة تلقائية ومعتبرة، مما يؤكد مكانتها الجوهرية في سندهم العلمي.[2]

وقد شاهدت شدة التشابه الذي كان بين المغرب وشمال نيجيريا حينما زرتها في المؤتمر العالمي (سيدي شيكر) الذي عقد في مراكش يوليو 2009م وقد تشابها في المباني القروية وفي اللباس وفي كثير من عادات وتقاليد الأمراء أمر عجيب، فنفس المجلس الذي ينعقده مُحَمَّد السادس ملك المملكة المغربية برمضان لاسمتاع التفسير ينعقده أمير كانو الحاج آدوا بايرو في قصره برمضان، وقد توارثا ذلك من أجدادهم، بل وكأن مدن شمال نيجيريا القديمة قرى في المغرب لشدة التشابه الذي بينهما وكذالك الأسواق القديمة وحتى الشوارع والزقق، ولكن ليس هناك صلة بينهما الآن قطعها الإستعمار .

– تنقسم الدراسات القرآنية في الكتاتيب تقريبا إلى مراحل حسب عمر الطالب ومستوى التحصيل العلمي، وتسمى هذه المراحل بلغة المحلية بـــ :–

المرحلة الأولى : كوظوا(Kotso) يستقبل الطالب فيها من السنة الرابعة وبيدأ فيها الطفل بحفظ قصار السور بيدأ بالفاتحة ثم سورة الناس ثم الفلق ثم الإخلاص وهكذا إلى أن يصل إلى سورة الفيل على الأقل.

المرحلة الثانية : قولوا (Kolo) وفيها يبدأ بمعرفة أسماء الحروف فردى وبدون شكل ثم ينتقل إلى القراءة مع الشكل، ويسلكون الطريقة الكلية في تعلم الحروف وذلك بالبدء بالجملة بدلا عن الحروف، فيدرسون

[1] ابن خلدون : عبد الرحمن ابن خلدون ت 808هـ : المقدمة : مكتبة دار الباز مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى 1413هـ ص 462

[2] انظر : الودغيري : عبد العلي، ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي . ص 13

الحروف من خلال الجملة، فمثلا أعوذ يالله من الشيطن الرجيم تفرغ إلى حروفها بالترتيب ويسمون الحروف بأسماء أعجمية من عندياتهم ولها معان في لغاتهم المحلية، فمثلا العين يسمى بلغة الهوسا (أمباكن ووفي)أي الفم المفتوخ شبهوا صورة العين (عـ) بالفم المفتوح، ولماذا سمي بذلك ؟ لأن التلميذ الذي يفتح فاه بدون إغلاق أصبح (ووفي) كلمة زجر أي أنت تافح ، والسين تسمى (سين قيقسشيا) أي السين الجافة، والشين تسمى (شين مي روا) أي شين ذات الثمار ، وهكذا وهذه القراءة تسمى (ببقوا) وأما قراءة الحروف مع الشكل يقال الألف مع الحركة فوقها فهي (أَ) والألف بالحركة تحتها فهي (إِ) والألف مع الرفعة فهي (أُ) وهكذا، وتسمى هذه القراءة بالشكل ب(فرفروا). فيكتب له في اللوح بهذه الطريقة من سورة الفاتحة إلى الفيل ثم قوله تعالى" مُحَّد رسول الله الخ " الفتح: الآية ٢٩ أو قوله تعالى" ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة الخ " آل عمران: الاية ١٥٤ لاشتمال الآيتين على جميع حروف الهجائية، وبها يكتمل تعريف جميع الحروف،

المرحلة الثالثة : تيتيبري (Titibiri) فهي مرحلة تدعى بالهوسا (هجتو) وفيها يبدأ الطالب كتابة السورة على اللوح ولا يغسل اللوح إلا بعد أن يتقن الحفظ وتستمر هذه المرحلة مع الحفظ حتى سورة النبأ ثم يواصل الكتابة والقراءة أمام المعلم من اللوح أي بدون حفظ حتى يتقن القرآن وهذه العملية تكون غالبا في الكتاتيب ،وتسمى محليا (سوكر ذوقوا) وأكثيرية أبناء المسلمين يقفون عند هذا الحد أي حفظ بعض الأجزاء لأدائه في الصلوات المفروضة والنوافل وإيجاد قراءة القرآن كاملا ، ثم يقرأ ما تيسر من أحكام الطهارة والصلاة وغيره وبعده يشتغل بأمور أخرى في الحياة. ثم يقدم وليمة ختم القرآن وهو احتفال كبير يجتمع فيه الأهالي والأقارب والأحبة، ويهتم الأهالي في نيجيريا بالاحتفال بالانتهاء من كل مرحلة ، بل ويعتبرونه من المحرمات أن يكتمل الطالب أي مرحلة دون أن يولم أو يقدم صدقة ويرون أن أن عدم القيام بشيء من هذا سيجر المصائب للفاعل ولن يفيده العلم الذي يحصله.[1]

المرحلة الرابعة : غردي (Gardi) كلمة عربية الأصل من غرد يغرد تغريدا بمعنى أنهم يرددون القراءة كدوي النحل،[2] وهي مرحلة الحفظ وتكون بحفظ المصحف كاملا ويكون البدء من سورة البقرة إلى سورة الناس أو العكس ولا يتعلمون بقية علوم الإسلامية إلا قليلا من الأحكام التي تصح به الصلاة ، وفي هذه المرحلة يبدأ

---

[1] انظر : الطاهر مُحَّد داود البروفيسور : المدارس القرآنية في نيجيريا نشاتها ونظامها وآفاق المستقبل : أوراق المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (14) قرنا على نزوله. عام 2011م السودان الخرطوم: الكتاب الخامس ص 43-54

[2] انظر: الفيروزبادي: مجد الدين مُحَّد بن يعقوب ت 817 هـ القاموس المحيط ، دار الفكر بيروت 1999م ص 275

الطالب في التدريب على الأستاذية وذلك في مساعدته للمعلم في المراقبة وتعليم الطلاب الذين هم دونه في العمر والمستوى، وكذلك في كتابة التعاويذ والآيات القرآنية للعلاج من مختلف الأمراض التي يأتي بها الأهالي إلى الشيخ.

المرحلة الخامسة : ألَرمّا (Alaramma) وهي أيضا عربية الأصل، بمعنى رحم الله المعلم، ويسمى الطالب بعد اتمامه للحفظ بـ(ألرما) وبعدها يمكن للطالب أن يفتح مدرسته الخاصة، وكان العادة قديما أنه من وصل إلى هذه المرحلة يذهب إلى أي مكان في الصحراء أو القرية ويفتح مدرسة قرآنية، فيقابله الأهالي بكل إجلال وتكريم ويتصدق إليه بأحسن امرأة عندهم ويعطى بيتا ليسكن فيه ويؤتى له بصغار القرية والقرى المجاورة لتعليمهم كتاب الله تعالى، ويقدمون له الأهالي الزكوة والصدقات فيجلس ولا يشتغل بشيء إلا التعليم حتى تتطور المكتبة إلى المحضرة، وقد يختار ألرما الصحراء فيضرب خيمة أو بيني خوخا ثم يؤتى له بالتلاميذ من كل فج إلى أن يصبح المكان قرية ، فكثير من القرى والمدن في شمال نيجيريا أصل نشأتها محضرة قرآنية.

المرحلة السادسة : ماهرو (Mahiru) كلمة عربية الأصل الماهر أي الحاذق. وهي مرحلة تحصيل بعض العلوم الشرعية واللغوية والحسابية ، وتكون باختيار كتاب معين ومدارسته مع معلم خاص في حلقته أو دهليزه ويتدرج الطالب فيها من كتاب إلى آخر ، وقد يبأ الطالب مثلا بكتاب القواعدي ثم الأخضري ثم العشماوي ثم رسالة ابي زيد القيرواني الى الموطا والمدونة انتهاء بكتاب التمهيد لابن عبد البر، ثم يقرأ مع هذا كتب اللغة بدأ بالأجرومية والالفية والمعلقات العشر في الشعر الجاهلي وفي المدائح البردة والعشرينية وغيرها، وفي التفسير الجلالين ثم القرطبي ثم بعض كتب تهذيب الأخلاق في التصوف وفي الحديث أربعين النووية إلى رياض الصالحين وهكذا .

المرحلة السابعة : غنغرن (Gangaran) معناه أي الذي تفوق على الأقران وأصبح أعجوبة في الحفظ. قد يذهب ألرما إلى الخلوة القرآنية بدل إنشاء مدرسة فيذهب الى (بدوي) مكان خال بعيد عن الناس في الصحراء ويبني الخوص وهو بيت القصب (قسقادي) ويجلس وحده طلبا لإتقان حفظ القرآن فقط وليكون القرآن في لحمه ودمه يعني بلوغ الغاية في اتقان حفظ القرآن الكريم أي يجلس لا يرى أحد ولا يتكلم مع أحد إلا ختمات القرآن الكريم حتى لا يشك فيه حرف أو حركة. وتكون المدة ستة أشهر إلى السنة وإلى السنتين وقد تقل عن هذا أو تكثر.

المرحلة الثامنة : غوني (Gwani) الغوني أو القوني مصطلح إفريقي، وتمثل الدكتوراه، وهو أعظم درجة علمية تمنح في إجادة القرآن الكريم عرفها التاريخ الإفريقي، بشروطها عند أصحابها. وقد أنجبته مملكة كانم برنو الإسلامية، وظل هو الدرجة العلمية الرفيعة والمقننة التي يصبو إليها كل طلاب الخلاوي القرآنية، وهذه الدرجة أو المصطلح قد أحيط بسياج منيع يؤكد الدقة والإتقان في معرفة القرآن الكريم لمن وسم بهذا اللقب ليجد بعدها المكانة والإحترام، ولا يكرم إلا بعد أن يجتاز كل المراحل المعتبرة عند أصحاب الشأن .

ويكون التكريم في احتفال بهيج يحضره أعيان الدولة ويعمم المعني بعمامة وسط هذا الجمع الحاشد إيذاناً بإعطاء هذه الدرجة ويخطب أكبر القواني سناً في المنطقة ويعلن للحاضرين بأن المعنِي استحق هذا اللقب بجدارة ويوصيه بتقوى الله ونشر القرآن الكريم ويحيط الجميع بأن المعنِي لا يدعي بعد اليوم إلا بالقوني ويحرم استدعاه باسمه المجرد.

وأول من لقب بهذا المصطلح هو الغوني موسى بن صالح الجرمي الشهير بالغوني موسى الدنقولي الذي يذكر الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني، في كتابه الإستذكار بأنه درس في مصر ثم نزح إلى تلك البلاد، ويعود إلى ما بعد1700 م.

ويقال أن أصل هذه الكلمة «غني» لذلك تكتب بالغين ويستشهد لذلك بالحديث الشريف أن القرآن غني لا فقر معه ولا غنى دونه[1] "وليس منا من لم يتغن بالقرآن"[2]، ومعنى يتغن: يستغن قاله ابن القاصح صاحب سراج القارئ شرح الشاطبية، وكان يكتبها بالغين، وهذا أقرب للمنطق لاستناده لهذا الحديث الشريف.[3]

المرحلة التاسعة : المشيخة القرآنية، المقرئ والقارئ : المقرئ بضم الميم وكسر الراء، هو من علم القراءة أداء ورواها مشافهة وأجيز له أن يعلمها غيره. والقارئ هو الذي جمع القرآن حفظا عن ظهر قلب. وهو مبتدئ

---

[1] انظر : أبو يعلى : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، الناشر : دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة الأولى، 1404 – 1984 تحقيق : حسين سليم أسد 159/5 قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف

[2] البخاري : باب من لم يتغن بالقرآن

[3] انظر : القوني /إدريس أحمد عثمان ، ورقة قدمت في الملتقى العلمي الذي نظمه مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالخرطوم احتفاء بذكرى مرور ألف وأربعمائة عام هجري على دخول الإسلام في إفريقيا.

ومتوسط ومنتهي . فالمبتدئ من أفرد إلى ثلاث روايات، والمتوسط من جمع أربع روايات إلى خمس، والمنتهي من عرف من القراءات أكثرها وأشهرها.[1]

العقلية السائدة في الكتاتيب القرآنية في نيجيريا

ومن بعض العقليات السائدة التي كانت مشهورة ومنشرة بالرواية الشفهية في الكتاتيب عندنا ما يأتي :-

- اعتقاد وجود أسرار للحفظ والإتقان عند المشايخ في مدة وجيزة كستة أشهر مثلا ولا يعطى للتلميذ هذه الأسرار إلا بعد ما يخدم عند الشيخ مدة طويلة
- المكان المجروح بسبب الضرب في الكتاتيب لايحرقه الله بالنار يوم القيامة
- أن قراءة القرآن يوم القيمة تكون برواية ورش عن نافع
- إذا قدر الله للتلميذ الموت في الكتاتيب فهو من أهل الجنة
- بركة الطعام في آخره، ولذا التسول لجمع بقايا الناس من الطعام مما يبارك للتلميذ ويزداد فهمه وبركاته.

وقد بنيت عقلية الشعب المسلم النيجيري من الكتاتيب حيث أنه من النادر أن ينشأ الفرد دون المرور بمرحلة الكتاتيب.

المبحث الثالث : التحديات وسبل النهوض

فمن المشاكل التي تواجه الكتاتيب والمحاضر وحلقات تحفيظ القرآن الكريم ما يأتي :-

1 – عدم وجود احصاء دقيق للكتاتيب والمحاضر والحلقات في نيجيريا ولا أحد يستطيع أن يذكر أعدادها على وجه الدقة، لأنه عمل تطوعي وألاّ شكلي، يفتحه رجل مسلم متحمس لدينه ولكتاب ربه العظيم متى شاء وأين شاء وكيف شاء، وفي أحياء القديمة لمدن شمال نيجيريا عموما قد لا تجد ذقة أو شارعا أو طريقا إلا وفيه أكثر من مكتبة قرآنية، بل وفي بعض المناطق قد لا تجد ثلاث بيوت إلا ومن بينها حافظ لكتاب الله تعالى، ومع هذا فإن المؤسسة النظامية للتعليم لم تحافظ على التعليم القرآني واستمراريته ، فلذا عكف الناس

[1] الضباع : علي بن محمّد : الإضاءة في أصول القراءة، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد البابي القاهرة ص 5 .

على الكتاتيب والمحاضر وتركوا المدارس الحكومية النظامية. وأوصل بالناس إلى تهجير أبنائهم إلى أماكن بعيدة فارا من المدراس الإستعمار، فيفتقر الطالب الصغير إلى الإعاشة وأصبحت حياته عناء وفاقة.

وفي إحصاء لولاية كنو عام ألفين واثنين 2002م أن المدارس الإسلامية النظامية الطوعية التي يقومون بها الأهالي من المحسنين بلغت أكثر من اثنتي عشر ألف مدرسة، في حين أن المدرس الحكومية النظامية التي تنفق عليها الحكومة وتشرف عليها لم تتجاوز ألفين وخمسمائة مدرسة. وما أدراك عن أعداد الكتاتيب والمحاضر والحلقات.

2 – عدم اعتراف الحكومة بهذا النوع من المدارس، وجعل كل اهتمامها بالمدارس النظامية التي جاء بها المستعمر، وهو من أهم أسباب التسول للطلاب الكتاتيب .

3 – ضعف إمكانات الكتاتيب المادية " المتمثلة في المباني والأدوات والمرتبات" لأن جُل المحاضر تقام في البوادي بعيدا عن عيون الحكومة التي تجبر الأباء على أخذ أبنائهم إلى المدارس النظامية الغربية وتغري الطلاب بمبالغ مالية وإن امتنع الأب ينتهي به الأمر إلى السجن أحيانا.

4 – افتقارها إلى المنهج التّربوي الأصيل والمعلم المدرب : لأنه عمل فردي وتطوعي والمعلم هو كل شيء وفي أكثر الأحايين تعتمد الكتاتيب على ثروة المعلم ومنهجه في الحياة والدرس ويخدم التلميذ في مزرعة المعلم، ويتضامن السكان في مساعدة المعلم بالصدفات والزّكوة حسب الإمكان وما يقدمه أولياء أمور التلميذ الميسورون.

6 – افتقارها إلى الوسائل التّعليمية الحديثة. زرت منطقة في أحد أقاليم المسلمين فوجد الكتاتيب مازالت تحطب قبل أن تشعل النيران لمذاكرة الألواح بالليل ، والمدارس التبشيرية بمباني شيقة ونظام عصري حديث في التعليم أمر عجيب.

8 – عدم مساواة خريجيها برصفائهم خريجي المدارس عند التّوظيف.

9 – اضطرارهم للعمل في أعمال هامشية. والتوسل والشعوذة. فكم من طالب يتخرج من الكتاب ثم يجلس في دهليزه وينتظر الصدقات، ثم يشتغل ببعض الطلاسم والحساب والرمل إلى الشعوذة ليسدوا رمقه.

إن الطالب في الدراسة النظامية يسأل عن رغبته ما ذا يريد أن يكون ضابطا أو طبيبا أو منهدسا أو وزيرا الخ وأما الطالب في الكتاب يتوجه إليها لا مطلب له سوى العلم ورضى الله تبارك وتعالى ومأواه الجنة،

وهو مقتنع بأن طريقه غير مفروش بالورود، ومستعد لتحمل مرارة مشواره التعليمي.[1] وهذا هو الفرق الجوهري والحافظ المعنوي الذي تتمتع به المدارس القرآنية بخلاف المدارس النظامية التي كانت الغاية فيها متاع الدنيا، فإذا فقد خريجيها التوظيف يبقى لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء.

10 – أكثر المحاولات التي تقدمها الحكومات أو الأفراد في نيجيريا للنهوض بالمدارس القرآنية (الكتاتيب) باءت بالفشل لأمور عدة منها :-

أ – إن الضربات القاسية التي واجهتها من قبل المستعمر وحكوماته جعلها تخاف وتبتعد عن كل ماهو جديد عندها ، وتعتبر ذلك من كيد اليهود، وسمعت أحد مشايخ الكتاتيب يحذر الناس حتى من التجويد والإذاعة ويقول إنه من دسائس اليهود علينا. وإن كان رفضها لكل تدخل خارجي في شأنها من أهم عوامل بقائها.

ب – أن الحكومات لا تنظر الى هذه المدارس إلا عند الكلام عن المتسولين في الشوارع ، فتنظر اليها كانها مظاهرات تبهتها عن كل ما تقوله في وسائل الإعلام من أنها تحسّن وضع التعليم في البلاد. فأول ما يواجه الزائر من الخارج عند وقوفه في الإشارة هو جمع غفير من المتسولين الصغار جلهم طلاب الكتاتيب القرآنية،

ج – عندما تولي الحكومة من يقوم بتشفي المسألة لا تسند الأمر إلى أهله الذي له معرفة بجذور المشكلة، فتولي من كان له قرابة سياسية معها فقط.

د – ثم إن هذه الحكومات تتغيير بعد كل أربع سنوات على الأقل فإذا ما ذهبت يذهب معها جل الأعمال التي بدأتها وتأتي حكومة أخرى بتوجهات مغايرة ويستبدل المسؤولون. فيتوقف الأعمال التي بدأتها الحكومة السابقة.

هـ – إن الحكومة تسمح لكل من فتح مدرسة قرآنية أو غيرها بأن يسجل في وزارة التعليم ويسمى هذا النوع من المدارس التطوعية (Voluntary) وهي مشتركة بين الأهالي والحكومة، وبعد ذلك تقدم الحكومة المنهج المختار وتقدم بعض المساعدات من المدرسين وكتب المدرسية وغيرها، ولكن الاشكال هنا تأتي بعض القرارات من الدولة مغاير لأهاف الكتاتيب أو المدارس الإسلامية، فمثلا قديأتي قرار بان تكون تدريس المواد

[1] انظر : الطيب بن عمر الدكتور ، مدير مكتب رابطة العالم الاسلامي في موريتانا : الكتاتيب وحلقات القرآن ودورها التعليمي : بحوث ندوة التعليم وتطوره في غرب افريقيا التي نظمتها رابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية في مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز الثقافي – نيامي – النيجر 1430 هـ 2009م ص 87

الإسلامية لا بد أن يكون باللغة الانكليزية بدل اللغة العربية كما حصل في الماضي القريب، وحصص اللغة الانكليزية تساوي حصص القرانية في مدرسة قرانية أو تفرض مادة غربية بحتة في مثل هذه المدارس.

و – اسناد أمور الدين الى سلطان الامراء ولا تتدخل الحكومات فيه كثيرا إلا عند حدودث بعض المشاكل، ويلاحظ أن سلطان الأمراء قبل الإستعمار كان قويا وفعالا، فالإمارة تعتبر رمزا للإسلام وشعارا للدين كما يشعر كل المواطنين بوجوب الخضوع له والإنقياد إلي أوامره، ولهذا وحتي بعد وجود الإستعمار استمر الناس بالإنقياد إليهم، وأعطي لهم كل فرد وجوب الطاعة . فالأمراء لهم أهمية كبيرة فى نفوس الشعب، ولا زالت منزلتهم وسلطانه كذلك، وقد جعل لهم الدستور 13% من مصادر الموارد لكل مناطق محلية التي يمتد سلطانهم إليها، وكذلك منح لهم الحق فى إدارة الشؤون الدينية، كالمساجد والمدارس، وكل ما له صلة بالدين. وإن كان الدستور اعترف بهم إلا أنه لا يعطيهم نفوذ وسلطان يتحكمون من خلالها بمصادر الدولة، وما زالت هذه الإمارات على النهج القديم في تيسير الأمور، وهذا مما أبقى المساجد والمدراس القرانية والاسلامية على النهج القديم بدون تطور والنهوض، وان كان بقاء أمور الدين بيد الامراء يحفظه من تدخل الحكومات المتعاقبة في أموره وهذا له ايجابيته.

وقال الدكتور طيب بن عمر " لا شك بأن الظروف الحالية خانقة للكتاتيب القرآنية مما جعل بعض الدراسات تصفها بأنها في مرحلة الاحتضار بالنظر الى حالة الجمود والركود التي تغشيها ، بينما وصفتها دراسات أخرى بأنها في حالة انتعاش باعتبار قابليتها للتطور ، إذا توفرت الوسائل لذلك.[1]

النقطة الثانية : سبل النهوض بالكتاتيب

ومن النادر أن ينشأ الفرد المسلم في نيجيريا دون المرور بمرحلة الكتاتيب ، فالنهوض بالكتاتيب نهوض للشعب وتطور في الدولة برمتها. ومن السبل في ذلك ما يأتي :-

1 – انشاء هيئة وطنية لتشرف على كل ما هو قرآني في الدولة وأن تقوم حكومات الولايات بإجراء احصاء دقيق لجميع كتاتيب القرآنية والمحاضر والحلقات لتقوم بعملية تعليمية للقائمين على هذه المدارس .

2 – انشاء منظمة على غرار جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية فان تجربتها ناجحة بحمد الله .

[1] انظر : الطيب : الكتاتيب وحلقات القرآن الكريم ودورها التعليمي ص 93

3 – المحضرة النموذجية[1] : وتتركز على المبادئ التالية:-

1. احتضان مجموعة من الأطفال المتفرغين لحفظ القرآن الكريم يقيمون بشكل دائم في المركز
2. توفير الظروف المعيشية والصحية لهم ووسائل الإقامة المناسبة
3. تنظيم أوقات الدراسية بطريقة تضمن الحفظ والمراجعة اليومية
4. تخصيص حصص لتعليم العربية واللغة الاجنبية الرسمية في البلاد تهيئ الطالب لمتابعة الدراسة مستقبلا في التعليم النظامي الرسمي.

وقد نجحت هذه التجربة وتحققت في ظلها مزايا تربيوية واجتماعية مهمة منها :-

أ – مكافحة ظاهرة التسول في صفوف التلاميذ

ب – مكافحة الشعور بالدونية لدى تلاميذ القرآنية

ج – فتحت آفاقا واعدة لتلاميذ القرآن الكريم

د – بعدما كان الحفظ المبكر من الكرامات أصبح عادي وفي متناول الطلاب الأذكياء ذا همم العالية

هـ – توظيف الوسائل الحديثة في اختزال الزمن وتعويض الوسائل التقليدية ، فلم يعد اللوح الخشبي والإداوة وقلمها من الملتزامات في الدرس اليومي القرآني

و – أصبح روح المنافسة فيما بين الدارسين على شكل حوافز تشجيعية، وعوامل تأديبية معنوية مؤثرة، بدلا من العقاب البدني المنفر الذي كان سائدا في هذه الكتاتيب في العهد الماضي .

ز – اجراء المسابقات القرآنية المدرسية والاقليمية والدولية.

4 – ابقاء الكتاتيب على حالها والإهتمام بأمر المعلمين والمتعلمين وتقديم الدعم والمساعدات المعنوية والمادية، وإدخال الترتيبات التي تحافظهم عن التسول. منها على سبيل المثال ، فرض وجبة على الجيران لكل فرد أو لكل عائلة، تؤخذ إلى طلاب الكتاتيب المتسولين.

النقطة الثالثة : آفاق المستقبل

تشهد الكتاتيب القرآنية جهودا ومحاولات متواضعة في آونة الآخرة في نيجيريا منها :-

[1] راجع : المرجع السابق ص 95

- إن ولايات شمال نيجيريا التي أعلنت تطبيق الشريعة الإسلامية أسست مكتبا استشاريا خاصا لمسألة الكتاتيب القرآنية، وهي إحدى عشر ولاية من بين الست وثلاثين ولاية في نيجيريا، ومما خرج به اللجان من التوصيات بهذا الصدد إنشاء مدرسة قرآنية نموذجية، وقد بدأ تطبيق هذا حتى على مستوى الفدرالي برئاسة البروفيرور شيخ أحمد غلادنثي (سفير نيجيريا بالمملكة العربية السعودية سابقا)
- أنشئ أول قسم لعلوم القرآن الكريم بكلية أمين كنو لدراسات الشريعة والقانون بكنو نيجيريا عام 1999م ويهدف القسم إلى جمع خريجي الكتاتيب ومنحهم الشهادة الدبلوم العالي في القراءات واللغة العربية والتربية وبقية المواد المنهجية, ومدة الدراسة سنتين إلى ثلاث سنوات، وبعد التخرج يتيح للطالب الفرصة لمواصلة الدراسة في جامعات النيجيرية وغيرها، أو يلتحق بوظائف حكومية أو غيرها لأمثاله حاملي أي شهادة دبلوم، وقد نجحت هذه الفكرة وتخرج آلف الحفظة لكتاب الله ويشتغلون الآن في مختلف مرافق الحياة، وقد اقتفى هذا الأثر قرابة تسع ولايات في نيجيريا، ويترأس القسم حاليا كاتب هذا الباحث.
- أنشات الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم للمملكة العربية السعودية مدرسة قرآنية نموذجية في ولاية سكوتو، كما افتتحت دولة قطر مدرسة النور لتعليم القرآن الكريم في جمهورية نيجيريا بمنطقة صوميل بمدينة إسيين عام 2014م كما أن هناك جهود عديدة هنا وهناك من المؤسسات الخيرية من الدول العربية والاسلامية بهذا الصدد.
- نقل الشيخ إسحاق رابع في إحدى زياراته إلى المملكة المغربية فكرة التسميع الجماعي بعد صلاة المغرب إلى نيجيريا، ولكن أعدلها إلى التسميع الفردي، وهو أن يجتمع جمع من الحفظة بعد صلاة المغرب ويتلون القرآن الكريم واحدا تلو الآخر غيبا عن ظهر القلب، وقال إن التسميع الجماعي تلاوة الضفادع لايدرى من يتقن ومن لا يتقن، وهذه الفكرة منتشرة في نيجيريا.
- كما أسس حديثا الشيخ إبراهيم أبوبكر رمضان رحمه الله حلقات تحفيظ القرآن الكريم مع نبذة من التفسير والقرآت في كثير من المساجد بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء ، وقد انتشرت هذه الفكرة انتشارا واسعا حيث أكمل الصغير والكبير حفظ القرآن الكريم مع التفسير في مثل هذه الحلقات. كما أنشأ بعض الشباب المتهمسين للقرآن الكريم حلقات تحفيظ القرآن الكريم للصغار بعد صلاة الصبح مباشرة أي قبل الذهاب إلى المدارس النظامية، والتجربة تؤتي أكلها.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فأرجوا بهذه الجولة المختصرة أني قد اكتشفت عن أطراف هذا الموضوع وأديت الفائدة العلمية المرجوة، ولا أدعي أني قد وفيت الموضوع حقه كاملا، فالكمال لله وحده، ومن أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات ما يأتي :-

النتائج :

- أن دخول الإسلام في نيجيريا قديم أي منذ فتوحات إفريقيا على يد عقبة بن نافع الفهري سنة ست وأربعين للهجرة 46هـ ولم يظهر كدين الدولة الا بعد إسلام بعض الملوك في المنطقة لأن أي دين جديد يدخل بلد ما، يبقى مع الشعب مدة قبل أن يصل إلى الطبقة الحاكمة ،
- من أهم أسباب انتشار الاسلام في إفريقيا مساواته بين الناس وبغضه للتفرقة العنصرية. وأن الاسلام في نيجيريا لم ينتشر بالسيف وإنما انتشر بواسطة أناس كانوا مثلا أعلى وقدوة حسنة ولذلك أصبح قلب الجماهير عالقة بكل ما هو إسلامي.
- لم يعرف أي تعليم من قبل في المنطقة إلا تعليم القرآن الكريم فكان النظام الذي يسود إفريقيا قبل ذالك نظام استقراطي بحت.
- إن الحركة الإصلاحية الفودية هي التي أعادت للمسلمين في تلك المنطقة روح الإخاء، وربطتهم تحت راية واحدة، وأيقظتهم من سباتهم بعد فترة الركون.
- نظام ومنهج الكتاتيب والمحاضر فريد في نوعه ، وهو الذي ملأ الفراغ التعليمي الديني والعربي في غرب إفريقيا وخاصة عندما دخل المستعمر الغربي البلاد وحارب كل ماهو عربي إسلامي، ففي شمال نيجيريا مثلا من النادر أن ينشأ الفرد دون المرور بمرحلة الكتاتيب القرآنية.
- عملت هذه الكتاتيب على ترسيخ قراءة القرآن الكريم وحفظه وهذا واضح من خلال النتائج التي يحققها الطلاب النيجيريون في المحافل المسابقات القرآنية الدولية في العالم.

بناءً على هذه النتائج يوصي الباحث بالآتي:

- أدعوا الباحثين إلى كتابة تاريخ لأهم الكتاتيب في نيجيريا وتراجم أهم المشايخ الذين بذلوا جهودا في نشر القرآن الكريم وعلومه حتى يكتب صفحة جديدة من تاريخ هذه المنطقة غير المزورة المداولة التي أنشأها المستعمر وقررها في مناهج التعليم.
- بذل المزيد من الجهود للنهوض بالمدارس القرآنية كما ذكرت طرفا من السبل في هذا البحث، وبنهوضها ينهض الشعب والدولة برمتها.
- إنشاء ملتقى للحفاظ في نيجيريا وفي العالم لمتابعة كل ماهو قرآني .

وما كان من صواب فبتوفيق من الله تبارك وتعالى، وما كان من خطإ فمني ومن الشيطان، فأستغفروا الله العلى العظيم وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وأله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. ابن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب : طبعة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى 1406هـ.
2. ابن خلدون : عبد الرحمن ابن خلدون ت 808هـ : المقدمة : مكتبة دار الباز مكة المكرمة ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى 1413هـ.
3. ابن منظور : مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.
4. أبو يعلى : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي: مسند أبي يعلى، الناشر : دار المأمون للتراث، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1404 – 1984 تحقيق : حسين سليم أسد .
5. أحمد العمراني، الدكتور :الكتاتيب القرآنية بالمغرب بين الموجود والمقصود "سبل تطويرها مع الحفاظ على خصوصياتها" بحث غير منشور .
6. الأزدي : الحافظ أبي الوليد عبد الله بن مُحَمَّد بن يونس: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، تحقيق عزت العطار الحسيني الناشر مطبعة المدني سنة النشر 1408هـ/ 1988م.
7. الإلوري : آدم عبد الله : الاسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاتي، الطبعة الثالثة. 1978م .
8. البخاري أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة بيروت سنة 1407 – 1987 الطبعة الثالثة . المحقق د. مصطفى ديب البغا.
9. توفيق أبوبكر حسين : جمهورية النيجيرية ، بحث غير منشور.
10. تيجاني زبير رابع : الدكتور : مساهمة علماء نيجيريا في التفسير .. بحث مقدم لنيل شهادة العلمية (الدكتوراه) جامعة ام درمان الاسلامية بجمهورية السودان عام 2012م
11. السایاوي: مُحَمَّد الرابع ابن يونس الكنوي: جامع المنافع على قراءة الامام نافع ، تحقيق وتعليق تجاني زبير رابع، الناشر الخليفة الشيخ إسحاق مُحَمَّد الرابع 2010م.
12. سكيرج سليمان أرزي كنو : الكتاتيب في كنو بين الماضي والحاضر، بحث لنيل الشهادة الجامعية العالية "الليسانس" قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية بالنيجر، 1996م . قسم المخطوطات بمكتبة كلية أمين كنو للشريعة والقانون كنو نيجيريا.

13. شيخ عثمان كبر، الدكتور: الشعر الصوفي في نيجيريا، دراسة موضوعية تحليلية لنماذج مختارة من انتاج العلماء القادريين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. النهار للطبع والنشر والتوزيع.
14. الضباع : علي بن مُحَمَّد : الإضاءة في أصول القراءة، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد البابي القاهرة.
15. الطاهر مُحَمَّد داود البروفيسور : المدارس القرآنية في نيجيريا نشاتها ونظامها وآفاق المستقبل : أوراق المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية بمناسبة مرور (14) قرنا على نزوله. عام 2011م السودان الخرطوم.
16. طرهوني : مُحَمَّد رزق عبد الناصر: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا ، بحث مقدم لنيل شهادة العالمية (الدكتوراه) جامعة الأزهر كلية أصول الدين 1420 هـ – 1999م.
17. الطيب بن عمر الدكتور ، مدير مكتب رابطة العالم الاسلامي في موريتانا : الكتاتيب وحلقات القرآن ودورها التعليمي : بحوث ندوة التعليم وتطوره في غرب افريقيا التي نظمتها رابطة العالم الاسلامي بالتعاون مع المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية في مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز الثقافي – نيامي – النيجر 1430 هـ 2009م.
18. على أبوبكر ، الدكتور : الثقافة العربية في نيجيريا ، الطبعة الأولى 1972م.
19. عمر حمزة إبراهيم / نيجيريا / ولاية كنو الإسلامية :جامعة أمدرمان الإسلامية ، بحث غير مطبوع.
20. غلادنثي : شيخ أحمد سعيد البروفيسور : حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 الى سنة 1966م المكتبة الأفريقية الطبعة الثانية 1993م .
21. غوني الأمين بن غوني ممدوا إنشاروا نيجر : الفية الدبثوية المصطفوية المسماة : القرى لأهل البادية والقرى بتاريخ الحبر البحر المتبحر الشيخ العلامة الماهر غوني دبثيا، نظم في ألف بيت مخطوط أهداني إياه الناظم في سفري معه الى الحج عام 2007م
22. الفلاتي : الأستاذ الطيب عبد الرحيم مُحَمَّد ، الفلاته في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان دار الكتب الحديث الكويت الطبعة الأولى سنة 1415هـ 1994م.
23. الفيروزبادي: مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب: . القاموس المحيط ، دار الفكر بيروت 1999م.

24. القوني /إدريس أحمد عثمان ، ورقة قدمت في الملتقى العلمي الذي نظمه مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالخرطوم احتفاء بذكرى مرور ألف وأربعمائة عام هجري على دخول الإسلام في إفريقيا.
25. المباركفوري صفي الرحمن : الرحيق المختوم : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية الطبعة العشرون 1430هـ 2009م.
26. مُحَمَّد أمين : تاريخ وخصوصيات نيجيريا. بحث غير منشور
27. مُحَمَّد بللو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور طبع عام 1382هـ – 1964م.
28. مُحَمَّد بن سيدي مُحَمَّد مولاي : التفسير والمفسرون ببلاد الشنقيط دار يوسف بن تاشفين مكتبة امام مالك الطبعة الاولى 1429-2008م
29. مُحَمَّد موسى البر/جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية: الإسلام والمسلمون في إفريقيا بحث غير مطبوع.
30. مُحَمَّد ناصر آدم : الأهداف الأساسية لمؤسسة المرحوم الشيخ مُحَمَّد الرابع للتعاون الإسلامي العالمي.
31. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية 1996م .
32. المزي : يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ، 1400 – 1980 تحقيق : د. بشار عواد معروف.
33. الموسوعة العربية العالمية : عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.
34. النحوي: الخليل : بلاد شنقيط المنارة والرباط، تونس 1987م.
35. الهيثمي علي بن أبي بكر المتوفى سنة 807 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي القاهرة وبيروت 1407 هـ .
36. الودغيري: عبد العلي : الدكتور : ملامح من التأثير المغربيّ في الحركة الإصلاحية للشيخ المجدّد عثمان بن فُودي، بحث غير مطبوع .